هوية التحرك العباسي ضد الأمويين

سؤال يطرح نفسه هل أن التحرك الذي قام به العباسيون للقضاء على الأمويين كان عربيا خالصا" كما يؤيد ذلك بعض الباحثين ام فارسيا" كما يذهب إلى ذلك البعض الآخر منهم،وفي الحقيقة وكما هو مبثت في كتب التاريخ فان معظم القيادات والدعاة كانوا من العرب والقاعدة الكبيرة المعتمد عليها لتحقيق النصر على الأمويين هم من العناصر الفارسية المتذمرة من الحكم الأموي، إذا" فهو خليط ولا يحسب فيه الفضل للبعض دون الاخر.

وقد اظهر العباسيون تفضيلا" لخراسان على سائر الأمصار كمسرح للدعوة ويتضح ذلك من الكلمة التي تنسب إلى محمد بن علي والتي قالها لدعاته حين وجههم إلى خراسان وسواء أصحت الرواية أم لم تصح فهي توضح لنا وضع مختلف الأمصار بالإضافة إلى أنها تعرض أمامنا برنامج الدعوة قال محمد بن علي:((أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده ،وأما البصرة وسوادها فعثمانية نسبة إلى الخليفة عثمان بن عفان تدين بالكف(الحياد) عن الاشتراك في النزاعة على الخلافة وتقول كن عبد الله المقتول ولاتكن عبد الله القاتل، وأما الجزيرة فحرورية(خوارج)مارقة وأعراب كاعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى، واما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان وعداوة راسخة وجهلا" متراكما"، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة فارغة لم تتقاسمها الأهواء ولم يتوزعها الدغل وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحي وشوارب (يشير إلى شجاعتهم) وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة (إشارة إلى التذمر) وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق (إشارة إلى النبوءات التي ترمز إلى خراسان)).

كما أن هناك سببا" آخر في عدم اتخاذ الحجاز كمنطلق للدعوة العباسية وهو أن العباسيين لم يستقروا في مكة أو في المدينة،لان الحجاز كان بلدا" فقيرا"من الناحية الاقتصادية تكثر فيه الصحاري القاحلة وكان يعتمد على غيرها من البلاد في إمدادها بالموارد الغذائية،وعندما تقطع الميرة عنها تتضرر اقتصاديا" .

لهذا فقد اختلفت العديد من المصادر بشأن أصل هذه الدعوة فالبعض منها أشـــــارت إلـــى أن الدعوة العباسية قامت على أكتاف الموالي (المسلمين من غير العرب الذين هم من أهـــالي البلاد المفتوحة الذين اعتنقوا الإسلام) في العراق وخراسان فانضموا إلى الدعوة العباسية بشكل كبير للأسباب الآتية :-

1- رغبة في التخلص من أوضاعهم الاجتماعية وخاصة بعد سيادة العرب وتغلبهم على الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية أخذ العرب يشعرون بأن الموالي ماهم الا عبيد فبدءوا يحتقرونهم ويعاملونهم معاملة سيئة،فقد حرموا من المساواة السياسية والاجتماعية،وحرموا من الوظائف الكبرى في الدولة، ومن العطاء الذي يستحقونه نظير التحاقهم بالجيش،بل فرضت عليهم الجزية رغم اسلامهم،لهذا حاول عمر بن عبد العزيز إصلاح هذه الحالة فأمر عماله بأن لايأخذوا الجزية ممن اسلم قائلا عبارته المشهورة :((أن الله بعث محمد هاديا ولم يبعثه جابيا)) وكان من أثر هذه السياسة التي اتبعها عمر بن عبد العزيز إن ازداد اعتناق أهل الذمة للإسلام ولكن في الوقت نفسه كانت فيه الدولة في حاجة ماسة الى بذل الأموال لتحقيق مشاريعها التوسعية وفتوحاتها الكبرى،مما أدى إلى حصول تضارب بين السياسة المالية والسياسة الدينية في الدولة وباءت هذه السياسة بالفشل بعد موت صاحبها عمر بن عبد العزيز والعودة من جديد إلى فرض

الجزية على الموالي،وهذه التفرقة لم يكن مصدرها الإسلام لان الإسلام دين المساواة ولم يفرق بين العناصر والأجناس بل نص صراحة على ان المسلمين أخوة ولافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى،وانما مصدر هذه التفرقة هو سياسة الدولة الأموية التي تقوم على أساس الجنس العربي،فاخذ الشعراء يشيرون ويفصحون في شعرهم إلى أن العربي قد خلق ليسود، بينما خلق غيره ليخدم، وصاروا لايفخرون إلا بمن كان الدم العربي يجري في عروقه، ويحتقرون من سواه ويميزون بين الصريح والدخيل،وكان هذا مدعاة لتذمر الموالي.

2- لم يكن تذمرهم أي الموالي بسبب جنسيتهم فحسب بل حتى حرفهم كان العرب يحترفون السياسة والحرب بينما يشتغل الموالي بالمهن اليدوية كالزراعة والصناعة وتمثلت نظرتهم إلى الموالي بقول احدهم((**يكسحون طرقنا ويخرزون خفافنا ويحيكون ثيابنا**))،ولم يستخدم الموالي إلا في الأعمال الكتابية وفي الجباية وأبعدوهم عن الوظائف فلما ولى سعيد بن جبير القضاء في الكوفة ضج الناس وقالوا :((**لايصلح للقضاء الا عربي**)).

3- كانوا يستخدمونهم في الحروب كمشاة فقد شاركوا جنب الى جنب العرب في الجهاد ضد الترك في بلاد ماوراء النهر،وضد الهنود في اقليم السند بل وفي فتح مصر أيضا حيث كانت هناك فرقة من الفرس تدعى(**الحمراء**) شاركت في جيش عمرو بن العاص على رغم من كل ذلك فقد حرموهم من العطاء ومن الغنائم والفيء ومن ثروات البلاد المفتوحة ويتضح ذلك من قول سعيد بن العاص:((**ما السواد الا بستانا لقريش**)).

4- كما منع العرب من الزواج من الموالي واحتقروهم واعتبروا أبنائهم أبناء إماء أو هجين،فضلا عن إنهاك الموالي بالضرائب وسوء معاملة الجباة لهم باستخدام القسوة والاهانة، فانضم الموالي إلى كل خارج على الدولة الأموية،كما ظهر هذا التذمر على شكل حركة كلامية وهي المعروفة بحركة(**الشعوبية**)((**وهي حركة اجتماعية أدبية سياسية هدامة غريبة عن الإسلام هدفها الطعن في السيادة العربية وفي الجنس العربي،وكان أصحابها يظهرون الإسلام ويبطنون الديانة المجوسية القديمة والعنصرية الفارسية،وكانت تطالب بتحقيق المساوات مابين الشعوب**)) .

كما كان للعرب دور في إنجاح الدعوة العباسية كما موضح أدناه :-

1- إن المتأخرين من العرب المستقرين في خراسان والتابعين لقبائل متباينة حرموا من العطاء لذلك نظروا بعين الحسد إلى إخوانهم العرب المقاتلة من أصحاب الامتيازات،وتذمروا من تسلط الدهاقين عليهم في واحة مرو، وهؤلاء كانوا يأملون تغييراً في الطبقة الحاكمة، وهذا يفسر حقيقة كسب الثورة العباسية بضمها للعرب من مختلف القبائل .

2- إتباع السلطة الأموية سياسة (**التجمير**) مع العرب المقاتلة من أصحاب الامتيازات المسجلين بديوان العطاء من خلال إجبارهم على المرابطة على الحدود والابتعاد عن عوائلهم وحرمانهم من حصتهم من الفيء والغنيمة .

3- وجود الحاميات العسكرية العربية في عدد من مدن خراسان ساعد على توجيه الأنظار لتلك القوى الضاربة وكسبهم إلى صفوفهم .

4- كما ان عرب خراسان قد سئموا النزاع فيما بينهم،والدليل على ذلك تسمية الأيام بأيام (الفتنة) وأيام (الفورة) وأيام(العصبية) فضجر الناس وأخذوا يتطلعون الى غير ماهم عليه والى أمر يجمعهم.

5- من شعارات الثورة العباسية(يامحمد يامنصور)هذا دليل واضح على تركيز الدعاية العباسية على القبائل اليمانية في خراسان لان المنصور هو المنقذ المنتظر في نظر قبائل اليمن الذين يسمونه(منصور حمير)او(منصور اليمن)وهذا يفسر لنا تلقب ابو جعفر المنصور بلقب (المنصور).

6- كما أوصى إبراهيم الإمام ابا مسلم الخراساني عندما اسند اليه قيادة التنظيم بضرورة التأكيد على العرب في نشر وتوسيع التنظيم السياسي للعباسيين فقد جاء في وصية الإمام إبراهيم لأبي مسلم :((ياعبد الرحمن انظر إلى هذا الحي من اليمن فالزمهم، واسكن بين أظهرهم،فان الله لايتم هذا الأمر إلا بهم)).
7- من أسباب اختيار خراسان مكانا للثورة لان العرب لم يصابوا فيها بانتكاسات لعدم قيامهم بثورات ضد الأمويين،وكان هؤلاء العرب قد تمرنوا على القتال مع الكفار عبر بلاد ما وراء النهر.
8- كان النقباء ونظراء النقباء والدعاة والجند والقادة في غالبيتهم من القبائل العربية من خزاعة ،وتميم ،وطيء، وشيبان وبجيلة .
9- ورد في الصحيفة الصفراء،(**وأي أحياء العرب أنصارهم**)التأكيد على دور العرب كأنصار الثورة.

مما تقدم تبين لنا ان العناصر التي قامت بالثورة العباسية كانت اغلبها عربية وشكل العرب القوة الضاربة فيها ،كما اشترك غير العرب فيها،اما هدف الثورة فكان القضاء على الأمويين واعادة الحكم الى آل البيت.